مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الاول - المجلد الثالث و الخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

الفُلك والسفينة في القرآن الكريم
دراسة لغويّة مقارنة

الدكتور أحمد جواد العتابي
كلية التربية ــ الجامعة المستنصرية

الملخص :

يعرض البحث لدراسة الآيات التي وردت فيها الفاظ الفلك والسفينة والجواري دراسة لغوية تعتمد على تحليل التركيب اللغوي من حيث العلاقات الاعرابية ومن حيث بناء الصيغة ، ومن حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير . فضلاً عن السياقات التي وردت فيها ، والمصاحبات التي اقترنت بها ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على ثلاثة فصول يعرض الفصل الآول لأيات الفلك وبمباحث تسعة ، يعرض المبحث الآول لدراسة الفلك بوصفها آية من أيات الله سبحانه . أما المبحث الثاني فيتناول دراسة الفلك في قصة نوح (عليه السلام) . ويعرض المبحث الثالث للفلك في آيات الصنع والصناعة أما سياقات التسخير فكانت من نصيب المبحث الرابع ، ويعرض المبحث الخامس للفلك في سياقات التسيير والركوب والنقل ، ويأتي المبحث السادس ليعرض للفلك في سياقات الازجاء ، وتكون المصاحبات من نصيب المبحث السابع ، ويعرض المبحث الثامن للفلك في سياق النجاة ويختص المبحث التاسع بالآيات التي ورد فيها وصف للفلك في القرآن الكريم ، ثم يعرض لوصف الفلك في كتب التفسير وبعد ذلك يعرض لوصفها في الكتاب المقدس وتفاسيره . أما الفصل الثاني فيتناول الآيات التي وردت فيها لفظة السفينة ويعرض الفصل الثالث للآيات التي وردت فيها لفظة (الجواري) وهو على ثلاثة مباحث خاص بآيات (الجواري) والثاني يعرض لاستعمال لفظة (الطوفان) في القرآن الكريم والثالث يتناول لفظة (المواخر) في الاستعمال القرآني ثم تأتي خاتمة البحث .

الفصـــل الأول

المبحث الأول

الفلك بوصفها آيةً من آيات الله سبحانه

ورد الفلك في القرآن الكريم بوصفها آية مـــن آياتـــه ســـبحانه . إذ اقترنت بخلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وارسال الرياح. وقـــد وردت في ثلاثة مواضع وفي سياقات مختلفة ومتنوعة، وعلى النحو الآتي :

أولاً : في سورة البقرة / ١٦٤ ((إنّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرضِ واختلافِ الليـــلِ والنهار والفلكِ التي تجري في البحرِ بما ينفعُ الناسَ وما أنزلَ اللهُ من السماءِ مـــن ماءٍ فأحيا بهِ الارضَ بعد موتِها وبثَّ فيها من كلِ دابةٍ وتصريفِ الرياحِ والســـحابِ المسخرِ بين السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلون))

ويلاحظ في سياق الآية ما يأتي :

١. اقتران ذكر (الفلك) بالاشياء العظيمة في عملية الخلق وهـــي عمليـــة خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .

٢. اقتران ذكر (الفلك) بنعم الله سبحانه على الأرض ولاسيما مـــا يخـــص غذاء الانسان من النبات والسحاب وتصريف الرياح .

٣. اقتران ذكر (الفلك) بخلق الحيوانات أو كل ما يدب .

٤. اقتران ذكر (الفلك) بكل هذه الاشياء العظيمة التي خلقها الله ســـبحانه بوصفها آيات يستدل بها القوم الذين يعقلون .

كما يلاحظ في التركيب أن الآية الكريمة :

صُدّرت بأداة التوكيد (إنّ) المشددة المكســـورة الـــهمزة . وقـــدّم خبرها المؤلف من المجرورات المعطوفات الكثيرة . إذ بلغت اكثر من ثمانيـــة معطوفات ، ثم يأتي بعد هذه السلسلة الطويلة من المعطوفات اسمها المقـــترّن باللام التي تفيد التوكيد أيضا . فضلاً عن أنه جاء نكرة (لآياتٍ) للدلالـــــة على التعظيم . كما أن تقديم الخبر جاء لغرض العناية والاهتمام .

ثانياً : في سورة الروم /٤٦((وَمِن آياتِه أنْ يرسلَ الرياحَ مُبشِّرات ولِيُذيقَكم من رحمتِه ولتجريَ الفلكُ بأمرِه ولِتَبتغوا من فضلِه ولعلكم تَشكُرون))

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أن (الفلك) جاءت في سياق تعداد آياته سبحانه .

٢. أن جريان (الفلك) لايكون إلا بأمرِه سبحانه .

٣. اقتران جريان (الفلك) برحمته سبحانه، التي تدعوهم الى شكرِه سبحانه.

ويلاحظ في تركيب الآية :

١. أنها صدّرت بالخبر (الجار والمجرور) للاختصاص والحصر .

٢. أن المصدر المؤول (أن يرسل) وقع موقع المبتدأ المؤخر وجاء بـ (أن والفعل) ليدل على تجدد الحدث ودوامه .

٣. يلاحظ أهمية (الحال) مبشّرات . إذ دلت على أن ارسال الرياح ليس مطلقا وانما قيّد بالبشارة والخير .

٤. وبسبب الحال (مبشّرات) جاءت لام التعليل التي تكررت ثلاث مرات لبيان العلّة والسبب لاذاقتهم الرحمة ، ولجريان الفلك والابتغاء من فضله . إذ جاءت هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض وموصولة بالواو .

ثالثاً:في سورة يس/٤١((وآيةٌ لَهم أنّا حَمَلْنا ذُريَّتَهم في الفُلْكِ المشحونِ)).

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أنها جاءت عقب تعداد مجموعة من الآيات ، التي سبقت آية الفلك ، في قوله ـ تعالى ـ : (وآيةٌ لهم الأرض الميتةُ أحييناها) وفي قوله تعالى: (وآيةٌ لهم الليلُ نَسلَخ منه النهار) .

٢. أن الفلك في هذه الآية وصف بـ (المشحون) وقد تكررت هذه الصفة في مواضع كثيرة سنعرض لها إن شاء الله .

٣. أن (الفلك المشحون) اقترن في الآية التي بعدها بخلقٍ مثلِه مما يركبون . في قوله ـ تعالى ـ (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) .

٤. أن (الفلك المشحون)اقترن ــ ايضاً ــ بمشيئة الاغراق في الآيــة التــي بعدها في قوله تعــالى((وإن نشــأ نغرقــهم فــلا صريــخَ لــهم ولا هــم يُنْقَذون)) / ٤٣ .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه ما يأتي :

١. أن التركيب (وآيةٌ لهم) تكرر في السورة لتعداد آيات الله سبحانه.

٢. أن التنكير في (آيةٌ) فيه معنى التعجب والتعظيم .

٣. اسناد (الحمل) الى (نا) العظمة ، لبيان فضله وقدرته ــ سبحانه ــ .

٤. وصف (الفلك) بالمشحون هو الشائع في الاستعمال القرآني .

المبحث الثاني

الفلك في قصة نوح (عليه السلام)

ورد (الفلك) مصاحباً لقصة نوح (عليه السلام) في القرآن الكريم في المواضع الآتية :

أولاً : في قوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ) (الأعراف : ٦٤) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. عودة الضمير في (فكذّبوه) و (فأنجيناهُ) على نوح (عليه السلام) .

٢. عطف التركيب(والذين معه في الفلك)على الضمير العائد على نوح (عليه السلام) .

٣. التقابل بين (انجيناهُ) و (أغرقنا) .

أما تركيب الآية الكريمة فيلاحظ فيه :

١. اسناد الانجاء والاغراق الى (نا) العظمة .

٢. دلالة الظرفية (في الفلك) لتخصيص الذين معه فقط بهذا الانجاء.

٣. شيوع الفعل الماضي في التركيب (فكذبوه ، فأنجيناه ، وأغرقْنا ، كذّبوا ، كانوا) . لتاكيد وقوع الحدث .

ثانياً : في قوله ـ تعالى ـ : (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (المؤمنون : ٢٨) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. شيوع حالة الحضور في سياق الآية من خلال شيوع ضمير المخاطب في (استويتَ) و (أنتَ) و (معكَ) و (فقلْ). بخلاف آية الاعراف التي شاعت فيها حالة الغياب .

٢. في آية الاعراف قال سبحانه وتعالى : (أنجيناهُ) وفي آية المؤمنون قال سبحانه : (نَجانا) ففي آية الاعراف كان الانجاء من الغرق . وفي آية (المؤمنون) كانت التنجيةُ من شرور القوم الظالمين .

٣. في آية الاعراف جاء التركيب (والذين معه في الفلك) . أما في آية المؤمنون فقد جاء التركيب (ومن معك في الفلك) .

٤. وصف القوم في آية الاعراف : (أنهم كانوا قوماً عَمين) ووصفهم في آية (المؤمنون) بـ (القوم الظالمين) .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صُدّرت الآية بأداة الشرط (إذا) للدلالة على أن الحدث غير مشكوك فيه ، إذ إنها ترد في المواضع التي يكثر فيها وقوع الحدث.

٢. جاء المعطوف اسم الموصول (مَنْ) بخلاف آية الاعراف جاء المعطوف (الذين) . والفرق بينهما أن (مَنْ) أعم واشمل من (الذين) بدليل دخول (رُبَّ) عليها :

يارِبَّ مَنْ يُبْغِضِ أذوادَنا رُحْنَ على بغضائه وإغتدينْ[1]

٣. دلالة الاستعلاء في (على الفُلكِ) الذي يدل على النصرة والقوة ولذلك جاء جواب الشرط بالحمد لله .

---

[1] الكتاب ٢ / ١٠٨ .

المبحث الثالث

الفُلك في سياق الصناعة

وردت الفلك في سياق الصُنع والصناعة في القرآن الكريم في المواضع الآتية:

اولاً : في سورة هود / ٣٧ : (وَاصنَعِ الْفُلْكَ بأعيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلمُوا إنَّهُمْ مُغْرَقونَ) .

ويلاحظ في الآية الكريمة :

١. أنها صُدّرت بفعل الأمر المتضمّن معنى التبليغ الى نبي الله نوح (عليه السلام) بالمباشرة في صنع الفلك .

٢. أن صنعَ الفلك يتم بعناية إلاهيّة عن طريقين ، الأول المعاينة (بأعيننا) . والثاني (الوحي) . (وحينا) .

٣. تشير الآية أن هذه الفلك لها خصوصية عند الله سبحانه لأنها صنعت بعناية ورعاية من الله فهي تختلف عن سائر الفَلك الأخر .

٤. في الآية ايجاز دقيق إذ فيها اخبار لما سيؤل اليه نوح (عليه السلام) ومَن معه من الانجاء . وما يكون عليه مصير الذين ظلموا من إغراق .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. دلالة حرف الجر في توجيه معنى الفعل (اصنع) إذ فيه ما فيه من الرعاية والعناية والتوجيه . لأن حرف الجار (الباء) يدل على الالصاق . كأنما صنع الفلك يجري ملتصقاً بالعناية والوحي الالهيين.

٢. إن التركيب(بأعيننا ووحينا) يشيع في نفس المخاطب الشعور بالأمان والثقة العالية بالنجاة من الغرق إذ إنه يكون في علاقة تقابل مع التركيب(إنهم مغرقون)كأنما الآية تقول:أنكم ناجون، وإنهم مغرقون .

٣. النهي عن مخاطبته سبحانه بشان الذين ظلموا ورد في موضعين فقط . إذ تكرر التركيب (ولا تخاطِبْني في الّذين ظَلموا إنّهم مُغْرَقُون) في آية

هود / ٣٧ ، وفي آية المؤمنون / ٢٧ . إذ إن سياق الآيتين كان واحداً وهو الأمر بصنع الفلك .

ثانياً : في سورة هود/٣٨ : ((وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)).

ويلاحظ في الآية الكريمة :

١. صدرت الآية بالفعل المضارع (يصنع) للدلالة على استمرار الحدث وقت الاخبار .

٢. تكرار الفعل (سَخِر) ماضياً ومضارعاً .

٣. لم يرد في تركيب الآية (بأعيننا ووحينا) لأن الآية التي سبقتها أغنت عن ذلك .

٤. تقديم سخرية الملأ ، ومجيئها في سياق (إنْ) الشرطية التي ترد في المواضع النادرة أو المشكوك فيها أو ما ينزل هذه المنزلة ، إذ إن نوح (عليه السلام) حمل سخريتهم على محمل الشك وليس القطع من باب الظن الحسن ، وتلك أخلاق الانبياء إذ إنهم لا يسيئون الظن حتى بأعدائهم .

٥. تكرار حرف الجر (من) المصاحب للفعل (سَخِر) إذ كانت سخريتهم أشد لأنها تكررت مرتين (سَخِروا منه) و(تسخَروا منا) وجاءت الثالثة بغير حرف الجر من (كما تسخرون) .

أما تركيب الآية فيلاحظ ما يأتي :

١. يلاحظ معنى المطاوعة في (ويصنع الفلك) كأنما هو مطاوع ــ لقوله ــ تعالى ــ في الآية التي قبلها : (واصنع الفلك) .

٢. دلالة الأداة (كلمَا) على تكرار الحدث وهو المرور والسخرية .

٣. عُدّي الفعل (مرّ) بحرف الجر (على) ، إذ ورد في الاستعمال القرآني ان الفعل (مرّ) مرةً يتعدى بحرف الجر (الباء) ، ومرةً يتعدى بحرف الجر (على) ، ومرةً لا يتعدى بحرف الجر ولا بغير حرف . وقد ورد

متعدياً بحرف الجر (على) ، في أربعة مواضع أحدها الآيـــة موضـــوع البحث . أما المواضع الثلاثة الأخرى فهي :

في قوله ــ تعالى ــ : ((أو كالذي مرّ على قرية))البقرة / ٢٥٩.

وفي قوله تعالى ((وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهـــم عنها مصرفون)) يوسف / ١٠٥ .

وفي قوله ــ تعالى ــ ((ثم دمّرنا الأخرين ، وإنكم لتمُرّون عليهم مُصبحيـن)) الصافات / ١٣٧ .

ويلاحظ أن هذه المواضع التي ورد فيها الفعل مرّ متعديـــاً بحـرف الجر (على) يغلب عليها سياقات الانكار والغفلة وعدم التدبر . وهـــذا يتناسب مع سياق الآية موضوع البحث .

ثالثاً : في سورة (المؤمنون) / ٢٧ (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَـــا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْـــنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِيـــنَ ظَلَمُـوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) .

ويلاحظ في الآية ما يأتي :

١. صدرّت الآية بالفعل (أوحينا) لتأكيد العناية الالهية في صنع الفلك فـــي قوله تعالى ((بأعيننا ووحينا))

٢. شيوع (نا) العظمة في تركيب الآية في قوله ــ تعالى ــ :((فأوحينا)) و ((بأعيننا ووحينا)) و ((أمرنا)) .

٣. دلالة التركيب (فاذا جاء أمرنا) ، إذ ورد في المواضع التي تغلب فيـــها سياقات العقاب والجزاء والعذاب في الحياة الدنيا .

٤. التركيب (وفار التنور) ورد مرتين إحداهما في سورة هود / ٤((حتـــى إذا جَاءَ أمرُنا وفَارَ التنورُ قلْنا إحملْ فيها مـــن كـــل زوجيـــنِ اثنيـــنِ)) والاخرى في الآية موضوع البحث . وكلا الموضعين كان في سياق قصة نوح (عليه السلام) .

أما تركيب الآية فيلاحظ ما يأتي :

١. تأكيد الايحاء.بتكراره مرتين احدهما بـ(فأوحينا)،والآخرى(ووحينا).

٢. غلبة حرف الفاء الذي يدل على السببية والتعقيب للدلالة على تعاقب الأحداث من دون مهلة .

٣. (أن) الداخلة على الفعل الأمر (أصنع) للدلالة على الفور . وهذا يتناسب مع دلالة التعقيب في حرف (الفاء) .

٤. وهنا لابد من عقد موازنة بين الآية موضوع البحث . وآية هود / ٤٠ إذ يلاحظ ما يأتي :

آية (المؤمنون)	أية هود
١ـ جاءت بعد دعاء نوح(عليه السلام) لطلب النصرة من ربّه(قال ربِّ انصرني بما كذّبونِ) .	١ـ جاء بعد استجابة نوح(عليه السلام) للأمر الالهي في صنع الفلك ((ويصنع الفلك)).
٢ـ صدّرت بـ (الفاء) (فأوحينا اليه) دلالة الفاء على التعقيب من دون مهلة لأنها جاءت استجابة لدعاء نوح(عليه السلام) (ربِّ انصرني).	٢ ـ صدّرت بـ (حتى) التي تدل على تقصّي الحدث شيئاً فشيئاً ، وهذه الدلالة تتناسب مع قوله تعالى(ويصنع الفلك) أي أن صنع الفلك بدأ شيئاً فشيئاً حتى وصل الى تمامه .
٣ـ التركيب (اذا جاء أمرنا وفار التنور) واحد في الآيتين	
٤ـ جواب (إذا) جاء مقترناً بالفاء لانه جملة طلبية (فاسلك).	٤ـ جواب (إذا) جاء مجرداً من الفاء (قُلنا) .
٥ـ جواب (إذا) (فاسلك فيها) إذ اقترن الفعل بحرف الجر (في) ، ولم يرد ذلك إلا في موضعين أحدهما	٥ـ جواب (إذا) (قلنا احمل فيها) إذ اقترن الفعل بحرف الجر(في) ولم يرد ذلك إلا في هذا الموضع فقط .

الآية موضوع البحث والآخر في
قوله تعالى (اسلك يدك في جيبك) القصص / ٣٢ .

٦ـ التركيب (من كلٍ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول) واحد في الآيتين .

٧ـ ختمت الآية بـ (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) .

٧ـ ختمت الآية باضافة (ومَنْ آمن وما آمنَ معه إلا قليل).

٨ـ قصة نوح (عليه السلام) في سورة المؤمنون تبداء بالآية ٢٣ـ وتنتهي بالآية /٢٩.

٨ـ قصة نوح(عليه السلام)في سورة هود تبدأ بالآية٢٥ـ وتنتهي بالآية/٤٨ ويعدّ ذلك أطول موضع وردت فيه القصة.

المبحث الرابع

الفلك في سياقات التسخير

وردت لفظة الفلك في سياقات التسخير في القرآن الكريم ، وفي المواضع الآتية :

أولاً : في سورة ابراهيم / ٣٢ (اللهُ الَّذي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَأنْزَلَ منَ السَّمَاءِ مَاءً فأخْرَجَ بهِ منَ الثَّمَرَاتِ رزْقاً لكُمْ وَسَخَّرَ لكُمُ الفلك لِتَجْريَ فِي الْبَحْرِ بأمْرِهِ وَسَخَّرَ لكُمُ الأنْهَارَ) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أن تسخير الفلك مصاحب لخلق السموات والأرض .

٢. أن تسخير الفلك مرتبط بأمرِه ـ تعالى .

٣. أن جريان الفلك مرتبط بعلة التسخير .

٤. أن التركيب (وسخرَ لكم الفلك لِتَجريَ في البحرِ بأمرِه) يتكرر في أكثر من موضع في القرآن الكريم كما سنرى إن شاء الله .

٥. أن تسخير الفلك يذكر مع الأحداث العظيمة خلق السموات والأرض وإنزال الماء من السماء ، وإخراج الثمرات .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صُدّرت الآية بلفظ الجلالة في جملة اسميَة للدلالة على التخصيص والحصر .

٢. شيوع صيغة الماضي في بناء الآية (خلقَ ، أنزلَ ، أخرَجَ ، سخَّر).

٣. ظاهرة الوصل بين جمل الآية .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. أن لفظ الجلالة (المبتدأ) هو اللفظ المهيمن في بناء الآية اذ ترتبط فيه كل الأحداث من خلق وانزال واخراج وتسخير .

٢. اقتران تسخير الفلك بهذه الاحداث العظيمة دلالة على أهميته والعناية به بخلاف (السفينة) فانها لم ترد مقترنة بالأحداث العظيمة .

٣. تقييد جريان الفلك بأمرهِ تعالى يدل على أهمية الفلك بخلاف السفينة فلن جرياتها لم يقيد بأمره ــ تعالى ــ إذ لم يرد في الاستعال القرآني (والسفينة التي تجري في البحر بأمره) .

ثانياً : في سورة الحج / ٦٥ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِأَذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) .

ويلاحظ في الآية ما يأتي :

١. صُدرّت الآية بالتركيب (ألم تَرَ) الذي يفيد التعجب .

٢. التركيب (الفلك التي تجري في البحر بأمره) تكرر هنا وفي مواضع أخرى .

٣. اقتران جريان الفلك بالأحداث العظيمة ، تسخير ما في الأرض وإمساك السماء ان تقع على الأرض وفي هذا الاقتران دلالة على أهمية الفلك ، بخلاف السفينة .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١.التركيب (ألم تَرَ) يشيع في سياقات التعجب التي ترد في الاستعمال القرآني إذ ورد واحدة وثلاثين مرة . والغالب فيه أن يتعدى بحرف الجو (الى) (ألم ترَ الى) .

٢.العطف في (والفلك) من باب عطف الخاص على العام لأن (ما في الأرض) عام وهو المعطوف عليه والفلك يدخل في (ما في الارض) وذلك للدلالة على العناية والاهتمام .

ثالثاً : في سورة الجاثية / ١٢ (اللهُ الَّذي سَخَّرَ لكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بأمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١.أن الجزء الكبير من تركيب الآية يتشابه في نظمه مع آية الروم / ٤٦ : ((ولِتَجريَ الفُلْكُ بأمرِهِ ولِتبتغُوا من فَضْلِهِ ولعلكمُ تَشكرونَ)) إلا أن آية الجاثية زيد فيها (فيه) . لأن لفظة (البحر) تقدم ذكرُها .بخلاف آية الروم / ٤٦ إذ لم يرد ذكر للبحر فيها . ومن اللافت للنظر ان التركيب (الفلك التي تجري في البحر) قد تكرر في آية البقرة / ١٦٤ . وآية ابراهيم ٣٢ . وآية الحج / ٦٥ وآية الروم /٤٦ . وفي الآية موضوع البحث . ومن اللافت للنظر . أيضاً ان التركيب نفسه جاء مقيّداً بالمركّب (بأمرِه) في أغلب المواضع ، عدا آية لقمان / ٣١ ، إذ قيد التركيب ب (بنعمت الله) قال ــ تعالى ــ : ((ألم تَرَ أن الفُلكَ تَجري في البحر بنعمتِ اللهِ ليُريكم من آياتِه إنّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبارٍ شكور)) إذ إن سورة لقمان يشيع فيها ذكر النعم وتعدادها (وأسبغَ عليكم نِعمَه ظاهرةً وباطنة) / ٢٠ ، ولذلك جاء (بنعمت الله) ملائماً للسياق .

٢. أن تسخير البحر علة لجريان الفلك في البحر بأمره ــ تعالى ــ .

اما تركيـــب الآيـــة :

أ. صدرت الآية بلفظ الجلالة (الله) لغرض التخصيص والحصر ، إذ إن التســخير لا يكون إلا بأمره وحده .

ب .العناية بالفلك من جهة تقديمة على(ولتبتغوا من فضله)ومن جهة تقييد جرياته بأمره تعالى.وهذا ما لا نجده مع السفينة والجوار كما سنرى إن شاء الله .

المبحث الخامس

الفلك في سياقات التسيير والركوب والحمل

ورد الفلك في سياقات التسير والركوب والحمل فـــي القــرآن الكريــم فــي المواضع الآتية :

اولا : في سورة يونس / ٢٢ (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتـــى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريـــح عـــاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصيـــن لـــه الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) .

ويلاحظ في الآية الكريمة :

١. صدرت الآية بتركيب (هو الذي) وهو شائع في الاستعمال القرآني إذ يرد في مواضع كثيرة ويغلب وروده في سياقات الخلق، والانشاء . والجعل ، وارسال الرياح ، وانزال المطر ، وبعث الرسل والانبياء وكل ما يتصـــل بخلق الانسان والطبيعة من سماوات ، وأرضين وبحار ونجوم وكواكـــب وشمس وقمر ورياح .

٢. ذكرت الآية (البر) . وفصلت القول في (البحر) .

٣.تنسب التسير الى الله سبحانه .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. التركيب (هو الذي) ورد في سبعة وأربعين موضعا . إذ يتـــألف مـــن الضمير (هو) للاشارة الى الذات العلية . واسم الموصـــول (الـــذي)

للاشارة الى الإخبار بواسطة جملة صلة الموصول ، التي تتالف من جملة فعلية فعلها ماض في الغالب ، وهذه الجملة متصلة بسلسلة من الجمل ، إذ يكون التركيب (هو الذي) المهيمن الذي ترتبط به جملة الصلة وما اتصل بها من الجمل .

٢. دلالة الفعل (يسيركم) ونسبة التسيير الى الله سبحانه . إذ إن صيغة المضارع تدل على استحضار الحدث كأنه شاهد .

٣. يلاحظ أن جملة الشرط وجوابه ، كل واحدة منها تتألف من سلسلة من الجمل المترابطة . فجملة الشرط تتألف (كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها) وجملة الجواب تتألف من (جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ، ودعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) .

٤. يلاحظ أيضا صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة ويرى البلاغيون أن هذا الانتقال لغرض المبالغة (كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويسترعي منهم الانكار والتقبيح) [٢].

ثانيا : في سورة المؤمنون / ٢١ ــ ٢٢ (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون) .

ويلاحظ في الآيتين الكريمتين ما يأتي :

١. اقتران منفعة الحمل بالانعام .

٢. أن حملهم على الفلك يدخل في حكم (العبرة) في قوله تعالى (وإن لكم في الانعام لعبرة) .

٣. الفلك هنا واسطة حمل شأن الأنعام .

---

[٢] الكشاف / ٦٤٠ ، دار المعارف بيروت ط / ٢٠٠٢ .

أما تركيب الآيتين فيلاحظ فيه :

١. أن التنكير في (لعبرة) جاء للدلالة على التعظيم والتفخيم .

٢. سلسلة (نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع ومنها تأكلون) جاءت لتوضيح عظمة (لعبرة) وأهميتها .

٣. تقديم الجار والمجرور (وعليها وعلى الفلك) للحصر والتخصيص .

٤. التركيب (وعليها وعلى الفلك تحملون) ورد مرتين إحداهما في الآية موضوع البحث . والأخرى في سورة غافر / ٨٠ .

٥. يلاحظ في الاستعمال القرآني أن الفعل (حمل) مرة يقترن بحرف الجر (في) (إحمل فيها) ، ومرة يقترن بحرف الجر (على) . فالظرفية تكون في حرف الجر (في) ، والاستعلاء يكون في حرف الجر (على) .

ثالثا : في سورة العنكبوت / ٦٥ (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) .

ويلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أن الضمير في (ركبوا) يعود على الذين سبق وصفهم في الآيات التي سبقت .

٢. يلاحظ في الاستعمال القرآني أن الفعل (ركب) مرة يتعدى بنفسه (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) النحل / ٨ . و (لتركبن طبقا على طبق) الا نشقاق / ٩ . ومرة يتعدى بحرف الجر (في) بخلاف الفعل (حمل) فإنه يتعدى مرة بحرف الجر (على) ومرة بحرف الجر (في) هنا .

٣. (الفلك)/غير مقترنة بلفظ البحر . إذ الغالب في الاستعمال القرآني أنها تكون مصاحبة له . إلا أن ذكر (البر) في الآية أغنى عن ذكر البحر .

٤. يفهم من سياق الآية أن(الفلك) يختلف عن السفينة، وأن السياق سياق خوف شديد بدليل قوله ــ تعالى ــ (دعوا الله مخلصين له الدين) . وقوله تعالى ((فلما نجاهم)) ولا تكون التنجية إلا من خطر عظيم .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صدرت الآية بأداة الشرط (إذا) التي ترد في المواضع التي يكثر وقوعها وغير المشكوك فيها .

٢. اداة الشرط (لما) التي (تقتضي جملتين وجدت ثانيهما عند وجود أولاهما) المغني ١/٢٨٠ . وهي ظرف للزمان .

٣. جواب (لما) جاء بـ (إذا) الفجائية التي تدل على السرعة في الحدث الذي لايكون متوقعا .

رابعا : في قوله تعالى الصافات / ١٣٩ . ١٤٠ (وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون) .

ويلاحظ في الآية الكريمة مايأتي :

١. أنها جاءت عقب سياق تعداد أخبار الرسل .

٢. يلاحظ أنها صدرت بالظرف (إذ) .

٣. أن الفلك وصف بـ (المشحون) وهو الشائع في الاستعمال القرآني .

٤. الفعل (أبق) لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. صدرت الآية بـ (إذ) غير المقترنة بـ (الواو) . إذ إن (إذ) وردت في الاستعمال القرآني مرة مع الفعل (اذكر) . ومرة مع حرف (الواو) والفعل محذوف . ومرة بحذف الفعل والواو ، كما في الآية موضوع البحث فاذا ذكر الفعل ، فان الكلام قد جرى على الأصل . واذا حذف وذكرت الواو فيقدر حملا على الأصل . فاذا حذف الفعل وحذفت ، فلا يجوز التقدير عند الفراء إذ يقول ((ويستدل على أن (واذكروا) مضمرة مع (إذ) أنه قال (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض) .. ولا يجوز مثل ذلك في الكلام بسقوط الواو إلا أن يكون معه

جوابه متقدما أو متأخرا كقولك (ذكرتك إذ احتجت اليك) أو (إذ احتجتك ذكرتك))[٣]

٢. لفظة (المشحون) وردت وصفا للفلك في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط في الشعراء / ١١٩ ، وفي الصافات / ١٤٠ ، ولم ترد منها أية صيغة أخرى في الاستعمال القرآني .

٣. ويلاحظ أن دلالة (أبق) غير دلالة (هرب) . فإباق ذهاب العبد من غير خوف ولاكد عمل . والحكم فيه أن يرد . فاذا كان من كد عمل أو خوف لم يرد)[٤] . بخلاف الهرب الذي لم يخصص ولم يقيد بحالة معينة إذ إنه عام يشمل العبد وغير العبد والرجل والمرأة ، في العمل وغير العمل . فاستعمال الفعل (أبق) في الآية موضوع البحث جاء متسقا مع سياق السورة كلها إذ وردت لفظة (عبادنا) ثماني مرات في التركيب (عبادنا المؤمنين) أو (عبادنا المخلصين) . إذ يأتي كلا التركيبين لازمة في نهاية كل خبر من أخبار الرسل والأنبياء .

خامسا : في قوله تعالى غافر /٧٩,٨٠ (الله الذي جعل لكم الأ نعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون) .

ويلاحظ في الآيتين الكريمتين ما يأتي :

١. في الآيتين تعداد لمنافع الأنعام والاستفادة منها في الركوب والأكل والحمل .

٢. التركيب (وعليها وعلى الفلك تحملون) تكرر في سورة المؤمنون/٢٢ أيضا .

٣. أن ذكر (الفلك) يأتي متأخرا بعد ذكر الأنعام .

٤. الفعل (ركب) تعدى بحرف الجر (من) . والشائع فيه أن يتعدى إما بحرف الجر (في) ، يقول الزمخشري (هلا قال منها تركبون ومنها

---

[٣] معاني القران ١/ ٣٥ .

[٤] العين ٥/٢٣١ .

تأكلون) ... قلت : في الركوب . الركوب في الحج والغزو .. وهذه أغراض دينية إما واجبة . أو مندوب إليها مما تتعلق به إرادة الحكيم . وأما الأكل وإصابة المنافع ، فمن جنس المباح الذي لا تتعلق به إرادته)[٥] . وفي أية أخرى ورد تعدي الركوب . بـ (من) . في قوله تعالى ((وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)) يس/٧٢، إذ تقدم الجار والمجرور هنا بخلاف الآية موضوع البحث . فقد تأخر الجار والمجرور .

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. أن الانعام جعلها الله للركوب والحمل . أما الفلك فقد خصها بالحمل (وعلى الفلك تحملون) .

٢. ويلاحظ أن سلوك الفعلين (رَكِب وحَمَل) يختلف في الاستعمال القرآني ، فالأول يتعدى بنفسه ومرة يتعدى بحرف الجر (في) . ومرة بحرف الجر (من) . أما الثاني فيتعدى بنفسه أيضاً ويتعدى بحرف الجر (على) وثالثةً بحرف الجر (في) . جاء في كتاب العين (وكلّ شيء علا شيئاً فقد رَكِبه) .[٦]

ويبدو أن دلالة الفعل مع حرف الجر (على) تفيد بذل الجهد والمكابدة جاء في مختار الصحاح (وحملَ عليه في الحرب حَملةً . وحملَ على نفسه في السّر أي جهدها فيه) .[٧]

سادساً : في قوله تعالى الزخرف / ١٢

(وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ)

---

[٥] الكشاف / ٩٦٢ .

[٦] العين ٥ / ٣٦٣ .

[٧] مختار الصحاح / ١٥٦ .

يلاحظ في الآية الكريمة ما يأتي :

١. أنها جاءت في سياق تعداد نعم الله سبحانه (الذي جعل لكم الأرض مهاداً) (والذي نزلَ من السماء ماءً) (والذي خلق الأزواج) .

٢. أن لفظة الفلك هنا متقدمة على الأنعام التي جاءت منسوقة عليها .

٣. الآية التي بعدها جاءت بتوحيد الضمير في (ظهوره) و (عليه) في قوله تعالى ((لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه)) جاء في الكشاف (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام .[٨]

أما تركيب الآية فيلاحظ فيه :

١. أن (الفلك) جاءت في سياق (الجَعْل) .

٢. قدم (الفلك) لأن الكلام في الآية التي بعدها سيكون على الأنعام التي تأخر ذكرها عن (الفلك) .

٣. يلاحظ في الاستعمال القرآني أن الفعل (استوى) يتعدى في الغالب بحرف الجر (على) . ونادراً ما يتعدى بحرف الجر (الى) (ثم استوى الى السماء) البقرة / ٢٩ . فضلاً عن أن تعديتَه بحرف الجر (على) تأتي مع (الفلك) ولم يرد تعديته بـ (على) مع الأنعام الا في هذا الموضع لأنها مختلطة بالفلك .

المبحث السادس

الفُلك وسياق الإرجاء

وردت الفلك في سياق الإرجاء في الاستعمال القرآني في موضع واحد في قوله تعالى الاسراء / ٦٦ (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) .

---

[٨] الكشاف ٩٨٥ .

وردت مادة (أزجي) في الاستعمال القرآني في ثلاثة مواضع :

١. في قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) (الاسراء / ٦٦) .

٢. وفي قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاما) (النور / ٤٣) .

٣. وفي قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا ببضَاعَةٍ مُزْجَاة) (يوسف / ٨٨) .

والإزجاء في اللغة : التزجيةُ : دفع الشيء ، كما تزّجي البقرةُ ولدَها ، أي : تسوقه. والريح تُزجي السحاب، أي : تسوقُه سوقاً رفيقاً والمُزجى : القليل من قوله ــ عزّ وجل ــ (وجئنا ببضاعة مُزجاة)[٩] و[١٠]. (وأن التزجية الشيء القليل الذي يدافع به ، نقول فلان يزجّي العيش ، أي : يدفع بالقليل ويكتفي به).[١١] وعند الزمخشري (مُزجاة: مدفوعة، يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته إذا دفعتَه وطردتَه) .[١٢]

والآية موضوع البحث من سورة الإسراء أسند فيها الإزجاء الى الله سبحانه وتعالى ، والإزجاء غير التسخير ، فقد وردت مواضع كثيرة ذكر فيها الفلك في سياقات التسخير كما مّر بنا ، فالتسخير تذليل للصعب تمهيداً لاستعماله واستخدامه . أما الازجاء فيأتي بعد التسخير إذ فيه رفقٌ وليس (أي تسوقه سوقاً رقيقاً) .

ويلاحظ في تركيب الآية ما يأتي :

صُدرّت الآية بـ (ربكم الذي) وفي ذلك اشعارٌ للمخاطب على أن ما بعده

---

[٩] العين ٦ / ١٦٥ .

[١٠] مجاز القرآن ١ / ٣١٧ .

[١١] معاني القرآن واعرابه / ٣ / ١٢٧ .

[١٢] الكشاف / ٥٣٨ .

مختص به ولا يفارقه الى غيره .

١. لما كان الإزجاءُ السوق برفق ولين ، فإن ما أعقبَ الآية وما تلاها يدخل في علاقة تقابل مع الازجاء بوصفه نفعاً ونعمةً من الله ، يدل على ذلك الآية التالية ((واذا مسّكم الضّرُ في البحر ضل من تدعون إلا إياه)) ٦٧ ، وقوله تعالى ((أم أمِنتم أن يعيدكم فيه تارةً أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم)) / ٦٩ .

٢. لم يرد الإزجاء مع السفينة. أو مع الجواري في الاستعمال القرآني .

المبحث السابع

مصاحبات لفظة (الفلك) في الاستعمال القرآني

ترد مع لفظة (الفلك) مصاحبات تكررت في أكثر من موضع وكانت هذه المصاحبات على نمطين :

الاول : في النظم إذ يتألف من (الفعل سخّر + الفلك + تجري + بأمره) إذ تكرر ذلك في المواضع الآتية :

آ. في سورة ابراهيم / ٣٢ (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ).

ب. في سورة الحج/٦٥(سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ) .

ج. الروم / ٤٦ (وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ) .

د . الجاثية / ١٢ (اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ) .

الثاني : في المفرد متمثلاً بلفظة (المشحون) . إذ ورد في المواضع الآتية :

آ. الشعراء / ١١٩ (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) .

ب. يس / ٤١ (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) .

ج. الصافات / ١٤٠ (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) .

أما النظم فيلاحظ أن هناك اتفاقاً في آيتي ابراهيم والحج ، إذ جاء النظم بالفعل (سخّر + لكم + الفلك + تجري + في البحر + بأمره) مع ملاحظة الفرق في آية ابراهيم أن التسخير كان مسلطاً على الفلك مباشرةً

(وسخّر لكم الفلك) ، أما آية الحج فكان التسخير مسلطاً على (ما في الارض) وجاء (الفلك) منسوباً عليه . فضلاً عن أن آية ابراهيم جاء الفعل (لتجري) مقترناً بلام التعليل لبيان علة التسخير . أما في آية الحج فقد جاء الفعل خلواً من اللام لبيان حال الفلك في البحر . أما في آية الروم/٤٦ فقد جاء النظم مختلفاً إذ تألف من (اللام + تجريَ + الفلك + بأمره) فلم يذكر الجار والمجرور (في البحر) لأن النظم جاء في سياق تعداد آياته سبحانه (ومن آياته ....) .

أما في آية الجاثية / ١٢ فقد كان التسخير مسلطاً على البحر (الله الذي سخرّ لكم البحر) . ثم يأتي الفعل (لتجري) مقترناً باللام لبيان العلة .

ويلاحظ في جميع الآيات موضوع البحث أن الجار والمجرور (بأمره) ظل ملازماً للنظم في كل المواضع إلا في آية لقمان / ٣١ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ) إذ جاء الجار والمجرور (بنعمت الله) بدلاً من (بأمره) . أما مصاحبة (الفلك) للفظة (المشحون) جاءت نعتاً ملازماً لها فإن مادة (شحن) لم ترد في الاستعمال القرآني إلا على هذه الصيغة . وفي ثلاثة المواضع التي مرّ ذكرها . ففي آية الشعراء جاء نعت الفلك بالمشحون منسجماً مع السياق إذ كان الحديث عن نبي الله نوح (عليه السلام) ونجاته ومن معه في الفلك الذي حمل فيه من كل زوجين اثنين وأهله. وفي آية يس جاء النعت متسقاً لسياق حمل ذرية هؤلاء المخاطبين إذ لابدّ أن يكون الفلك مشحوناً . وفي آية الصافات جاء النعت متسقاً أيضاً لسياق الآخبار عن حالة نبي الله يونس إذ خرج مغاضباً فركب في الفلك المشحون بالمسافرين إذ تعطل الفلك عن الجريان فقال أصحاب الفلك هناك عبد آبق لابدّ من إخراجه لتجريَ الفلك فوقعت عليه القرعة .... الى آخر القصة .

المبحث الثامن

الفُلك في سياق النجاة

وردت لفظة الفلك في سياق النجاة في المواضع الآتية :

١. في سورة الاعراف / ٦٤ (فكَذَّبُوهُ فأنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ) .

٢. في سورة يونس / ٢٢ (حَتَى إذا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بهِمْ بريح طَيِّبَةٍ وَفرِحُوا بهَا جَاءَتْهَا ريحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَـــان وَظَنُّـوا أَنَّهُمْ أحيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لنَكُونَـــنَّ مِنَ الشاكرين) .

٣. في سورة يونس / ٧٣ (فكذّبوه فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنـــاهُم خَلائِفَ وأغْرَقْنا الذيَن كذّبوا بآياتنا) .

٤. في سورة الشعراء / ١١٩ (فأنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون).

٥. في سورة العنكبوت / ٦٥ (فإذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لـــهُ الدِّينَ فلمَّا نَجَّاهُمْ إلى الْبَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُونَ) .

فآيتا الاعراف ويونس / ٧٣ فـــي سـياق الإخبـار عـن النبـي نوح (عليه السلام) ، إذ جاء الانجاء عقب التكذيب بدلالة حرف الفاء . ويلاحـظ أن النظم في الآيتين يكاد يكون متفقاً إلا في فعل النجاة ففي آيـة الاعـراف جاء الفعل على وزن (أفعلَ) وفي آية يونس/ ٧٣ جاء الفعـل علـى وزن (فعّل) . وكذلك جاء اسم الموصول في آية الاعراف بـ (الذين معه) أمـا في آية يونس / ٧٣ فجاء بـ (مَن معه) .

أما في آية الشعراء / ١١٩ فالإنجاء لم يأتِ عقب التكذيـب وإنمـا جاء عقب أن دعا نوح (عليه السلام) ربَّه لينجيَهُ ومن معه ((فافتح بيني وبينـهم فتحاً ونجني ومَن معي من المؤمنين)) .

أما في آيتي يونس / ٢٢ والعنكبوت / ٦٥ فجاء الانجاء في سـياق مخاطبة الناس عامةً لبيان قدرة الله سبحانه على حفظهم في البر والبحـر

ولا سيّما اذا كانوا في الفُلك الذي أحبط بريح عاصف وموجٍ متلاطم . إذ يلاحظ ان النظم يكاد يكون متفقاً ايضاً في سياق الدعاء (دعوا الله مخلصين له الدين) إلا أن الاختلاف فيما بعد ذلك ففي آية يونس / ٢٢ (يقسمون لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) إذ جاء الفعل على وزن (أفعلَ) أما في آية العنكبوت فالنظم وصف لحالهم بالظرف الزماني (لمّا) ويكون الفعل على وزن (فعلّ) ويبدو أن صيغتي (أفْعلَ ــ أنجي) و (فعّلَ ــ نجّى) جاءتا على معنى واحد في الاستعمال القرآني ، إذ من خلال تتبع هذين الفعلين في القرآن الكريم تبيّنا انهما لم يستعملا في سياقات مختلفة ولم يخص أحدهما بسياق وآخر بسياق . إذ الغالب فيها اسنادها الى الله سبحانه ظاهراً أو مستتراً وعلى وفق الجدول :

نجّى	أنجى
(نجّانا اللهُ) الاعراف / ٨٩	(أنجانا) الانعام / ٦٣
(فلما جاء أمرُنا نجّينا هوداً)هود/ ٥٨،٦٦،٩٤ .	(أنجاكم) ابراهيم / ٦
(نجّاكُم الى البر) الاسراء / ٦٧	(أنجاهُ اللهُ) العنكبوت /٢٤
(نجّينا) فصلت / ١٨ ، الدخان / ٣٠	(أنجاهم) يونس / ٦٣
(نجّيناك) طه / ٤٠	(أنجيّنا) يونس /٢٢
(نجّيناكم)البقرة / ٤٩	(أنجْينا) الاعراف / ١٦٥
(نجّيناهُ) يونس/ ٧٣الانبياء/ ٧١ ، ٧٤، ٧٦، ٨٨، الشعراء / ١٧٠، الصافات/ ٧٦، ١٣٤ .	(أنجْينا) هود / ١١٦ ، الشعراء / ٦٥ النمل/٥٣
(نجّيناهم) هود / ٥٨ ، القمر / ٣٤	(أنجيّناكم) البقرة /٥٠ الاعراف / ١٤١ ، طه / ٨٠
(نجّيناهما) الصافات / ١١٥	
(نجّيناهما) الصافات / ١١٥	(أنجْيناه) الاعراف /٦٤، ٧٢،

(نُنجيَ) يونس /١٠٩ ، مريم/٧٢ ٨٣، الشعراء / ١١٩، النمل /٥٧
(نُنجيكَ) يونس / ٩٢ العنكبوت/ ١٥
(يُنَجّي) الزمر/٦١ (أنجيناهم) الانبياء/٩
(يُنَجّيكم) الانعام / ٦٣ ، ٦٤ (نُنْجيكم) الصف / ١٠

فهذه المواضع أسند فيها الفعلان (نجّى ، وأنجى) الى الله سبحانه وتعالى . إذ لم يخصّ الاستعمال القرآني أحدهما بسياق معين .

ولذلك نرجّح أن (نجّى ، وأنجى) قد وردا بمعنى واحد في الاستعمال القرآني ، إذ إن صيغة(فعّل تشارك (أفعلَ)في اثنين هما التعدية، والإزالة .[١٣]

المبحث التاسع

أولاً : وصف الفلك في القرآن الكريم

لم يرد في القرآن الكريم وصفاً مفصل للفلك . ولاسيما الفلك التي وردت مع أخبار نبّي الله نوح (عليه السلام) إلا أننا نتبيّن وصفاً عاماً للفلك التي حُمل فيها نوح (عليه السلام) وأهله ومن معه ، وذلك في الآيات القليلة التي أشارت على نحو موجز الى طبيعة هذه الواسطة وعلى النحو الآتي :

١. فقد ورد في الآيات التي تناولت صنع الفلك وتأكيد العناية والرعاية الإلهيتين في صنعها (وأصنعِ الفلك بأعيننا ووحينا) و (وأوحينا اليه أن اصنعِ الفلك بأعيننا ووحينا) . فأول صفة من صفات الفلك أنها صنعت بعناية ووحي إلهيين .

٢. ورد ذكر للمواد التي صنعت منها في سورة القمر / ١٣ ، في قوله تعالى (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) .

---

[١٣] شذا العرف / ١٤١ .

إذ وردت لفظة (ألواح) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع أخرى :

آ . في سورة الاعراف / ١٤٥ (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ) .

ب . في الآية/ ١٥٠ من السورة نفسها (وَأَلْقَى الألواح وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) .

ج . في الآية/١٥٤من السورة نفسها(وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الألواح .

فالألواح هنا غير الألواح التي وردت في الآية موضوع البحث ، فهي تعني ألواح الخشب التي بنت منها الفلك حين أمر الله سبحانه نبيّه نوحاً (عليه السلام) بأن يصنع الفلك الذي سيحمله وأهله ومن معه وقت الطوفان .

٣ . لفظة (دُسُر) وردت مرة واحدة في القرآن الكريم ، إذ جاء في كتاب (لغات القبائل) (الدّسر : المسامير الواحد : دَسْر ، بلغة هذيل) .[١٤]

وفي كتاب العين : الدّسار خيط من ليف تشدّ به ألواح السفينة والمسامير أيضاً تسمى دُسراً ... واحدها دِسار .[١٥]

وجاء في كتاب الدر المنثور (الدُسُر معاريضها التي تشد بها السفينة .

وقيل : الألواح الصفائح ، والدسر العوارض .. وقيل : الدسر : ككل السفينة ... وقيل صدرها الذي يضرب به الموج) .[١٦]

وقد وافق المفسرون ما جاء في لغة هذيل من تفسير (الدّسَر) بالمسامير التي تشّد بها الألواح .[١٧] وفي معجم الكلمات الأكدية في اللغات الشرقية (دسر : الدَوْسر : نبات . وردت تسميته في اللغة

---

[١٤] لغات القبائل / ٢٦٥ .

[١٥] العين ٧/ ٢٢٥ .

[١٦] الدر المنثور / ٧ / ٦٧٦ .

[١٧] تفسير الجلالين ١٩١/٢ ، صفوة التفاسير ٢٨٥/٣ ، البحر المحيط ٨ / ١٧٦ .

الأكدية بهيئة (Disharra) ومنها الفارسية دَوسَر . وفي اللغة الآرامية : دشرا) .[١٨]

وفي تهذيب اللغة / (جَمَلٌ دَوْسريّ وَدَوْسر وهو الضخم ذو الهامة والمناكب وعن الفرّاء قال : الدّوسريّ القوي من الإبل ، ودَوْسر كتيبة كانت للنعمان) .[١٩]

ويبدو أن حمل معنى (دُسُر)على الضخامة والقوّة أنسب لسياق الآية .

٤ ـ وجاء وصفها بالجارية في قوله تعالى (إنَّا لمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) (الحاقة/١١) .

ورد لفظ (الجارية) في موضعين ، الأول في الآية موضوع البحث . والثاني في سورة الغاشية / ١٢ (فيها عينٌ جارية) .

جاء في كتاب الدر المنثور (حَمَلْناكم في الجارية) قال : السفينة .. وفي قوله (لنجعلها لكم تذكرة) أي تذكرون ما صنع بهم حيث عصوا نوحاً .[٢٠]

والجري في اللغة : الجارية : مصدرها : الجَراء ، بلا فِعْل يقال : فعلْت ذلك في جرائها أي : حين كانت جارية .[٢١]

والجارية: الشمس والسفينةُ والنعمة من الله تعالى زفتيّةُ النساء والجمع جوارٍ .[٢٢]

ومما تقدم يتبيّن أن وصف الفلك في القرآن الكريم جاء مختصاً بالفلك الذي حمل نوحاً (عليه السلام) وأهله ومن معه . وهو وصف موجز لايساعد على

---

[١٨] معجم الكلمات الآكدية / ١٢١ .

[١٩] تهذيب اللغة ١٢ / ٣٥٥ .

[٢٠] الدر المنثور / ٨ / ٢٦٦ .

[٢١] العين ٦ / ١٧٥ .

[٢٢] القاموس المحيط / ١٢٧٧ .

الوقوف على حقيقة هذا المصنوع من حيث حجمه وطوله وعرضه واختلافه عن سائر السفن التي يعهدها الإنسان قديماً وحديثاً . وكل ما نستطيع أن نعرفه أنها آلة أو واسطة للنقل صنعت بعناية ووحي من الله سبحانه ، وأنها صنعت من ألواح ودُسُر ولها قدرة على الجري في الأحوال الصعبة والشاقة كالطوفان مثلاً .

ثانياً : إلا أن وصف الفلك ورد مفصلاً في بعض كتب التفسير فقد جاء في الكشاف (وروي أن نوحاً اتخذ السفينة * في سنتين وكا ن طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج ، وجعل ثلاثة بطون فجعل البطن الأول الوحوش والسباع والهوام . وفي البطن الأوسط الدواب والانعام ، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد ، وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضاً بين الرجال والنساء ، عن الحسن كان طولها ألفاً ومئتي ذراع وعرضها ستمئة . وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى ــ عليه السلام ــ ، لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من التراب فأخذ كفاً من تلك التراب فقال :

أتدرون من هذا ! قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه . فقال : قم بإذن الله . فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ... قال : حدثنا عن سفينة نوح . قال : كان طولها ألف ذراع ومئتا ذراع وعرضها ستمئة ذراع . وكانت ثلاث طبقات . طبقة للدواب والوحوش وطبقة للإنس وطبقة للطير) .[٢٣]

وفي كتاب (الدر المنثور) (فلما ادرك الشجر أمره ربّه فقطعها وجفّفها وقال : يارب كيف أتخذ هذا البيت ! قال اجعله على ثلاثة (كذا)

---

* جميع المفسرين واللغوين يرون أن الفلك هي السفينة ، وأنهما من المترادف .

[٢٣] الكشاف / ٤٨٣ .

صور . رأسه كرأس الديك ، وجؤجؤه كجؤجؤ الطير . وذنبه كذنب الديك . واجعلها مطبقة ، واجعل لها أبواباً في جنبها وشَدها بالدُسُر ـ يعني المسامير ـ الحديد وبعث الله جبريل عليه السلام يعلمه صنعة السفينة . فجعل السفينة ستمئة ذراع وستين ذراعاً في الارض . وعرضها ثلاثمئة ذراع وثلاثة وثلاثون ، وأمر ان يطليها بالقار .. فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب وأطبقها) .[٢٤]

(وعن ابن عباس (رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال : كانت سفينة نوح (عليه السلام) لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان ، وذكر أن طول السفينة كان ثلاثمئة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً وبابها في عرضها ... وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن نوحاً لما أمر أن يصنع الفلك. قال: يارب وأين الخشب ! قال اغرس الشجر ، فغرس الساج عشرين سنة) .[٢٥]

ثالثاً : وصف الفلك في الكتاب المقدس :

جاء وصف الفلك في الكتاب المقدس/سفرالتكوين ٦،٧ (فقال الله لنوخ ... ابنِ لك فلكاً من خشب السّرو واجعل فيه غرفاً تطليها بالزفت من الداخل والخارج .... ليكن طوله ثلاث مئة ذراع(نحو مئة وخمسة وثلاثين متراً) ، وعرضه خمسون ذراعاً)(اثنين وعشرين متراً ونصف المتر) وارتفاعه ثلاثين ذراعاً (ثلاثة عشرمتراً ونصف)، واجعل له نافذةً على انخفاض ذراع (خمسة واربعين سم) من السقف وباباً تقيمه في جانبه. وليكن للفلك طوابق سفلية ومتوسطة وعلوّية) .[٢٦]

---

[٢٤] الدر المنثور / ١٢ / ٤١٩ .

[٢٥] الدر المنثور ١٢ / ٤١٨ .

[٢٦] الكتاب المقدس / سفر التكوين / ٧ ، ٦ .

وجاء في كتابه (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس) : (لم يكن الفلك الذي بناه نوح مجرد زورق صغير ، تخيّل أنك تبني مركباً يبلغ طوله مرة ونصف طول ملعب كرة قدم ، وارتفاعه ارتفاع مبنىً من اربعة ادوار ، لقد كان طول الفلك ستة أضعاف عرضه تماماً وهي نفس النسبة (كذا) التي يراعيها بناة السفن الآن .... ويقدر كثير من العلماء عدد الحيوانات التي دخلت الى الفلك بنحو (٤٥) ألف حيوان) .[٢٧]

وجاء في (موسوعة الكتاب المقدس) (وقد أعطى الله نوحاً تصديم هذا القارب الضخم المقفل المعّد للعوم فوق المياه المتعاظمة ، وقياسات الفلك هائلة إذ كان على نحو ١٣٧×٢٣×٢٤ متراً ، وكان للفلك هيكل مغشّى بالألواح ومطلّي بطبقة صفيقة من القار لمنع تسرب الماء ، وكان له سقف وله فتحة لإدخال الضوء من كل جهة تحت السقف بقليل ، وقد دخل نوح وأهل بيته والحيوانات الى الفلك من باب في جانبه وكان الفلك ثلاثة طوابق .. وقد أدخل نوح الى الفلك زوجين من جميع المخلوقات الحيّة وخزن في الفلك طعاماً للجميع) .[٢٨]

إن الموازنة بين الوصف الذي ورد في بعض كتب التفسير والوصف الذي ورد في الكتاب المقدس وتفسيره وفي كتاب موسوعة الكتاب المقدس ، تبين مدى التشابه الكبير بين الوصفين ولا سيما في ذكر القياسات التي تخص طول الفلك وعرضه وارتفاعه ، وكذلك من حيث البناء الهندسي وما تحتويه من طبقات ونوافذ وأبواب وسقف ولابد من عمل تخطيط للوقوف على نقاط التشابه بين الوصفين .

---

[٢٧] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس / ٢٤ .

[٢٨] موسوعة الكتاب المقدس / ٢١٢ ، سفر التكوين / ٩٠٦ .

وصف الفلك في كتب التفسير	وصف الفلك في الكتاب المقدس وتفسيراته
الكشاف الرواية الاولى	سفر التكوين
١. القياسات	١. القياسات
الطول (٣٠٠) ذراع	الطول (٣٠٠) ذراع
العرض (٥٠) ذراعاً	العرض (٥٠) ذراعاً
الارتفاع (٣٠) ذراعاً	الارتفاع (٣٠) ذراعاً
٢. المادة : من الخشب الساج	٢. المادة : من الخشب السّرو
٣. البناء الهندسي : ثلاثة بطون	٣. البناء الهندسي : مكون من غرف مطلية بالزفت من الداخل والخارج له نافذة على انخفاض ذراع من السقف له باب جانبيةُ ، له طوابق سفلية ومتوسطة وعلوّية .
الكشاف الرواية الثانية	
الطول : (١٢٠٠) ذراع	
العرض : (٦٠٠) ذراع	
الدر المنثور الرواية الاولى	موسوعة الكتاب المقدس
القياسات	القياسات
الطول : (٦٠٠) ذراع	١٣٧م×٢٣م×١٤م
العرض : (٣٣٠) ذراعاً	
الارتفاع (٦٠) ذراعاً	
البناء الهندسي : ثلاث صور ، رأسها كرأس الديك وجؤجؤها كجؤجؤ الطير وذنبه كذنب الديك . لها أبواب في جنبها	البناء الهندسي : هيكل خشبي مغشّى بالألواح ومطليّ بطبقة من القار له سقف دونه فتحة له ثلاثة طوابق
المادة : وشدّها بالدُسُر . تطلى بالقار	

القياسات	القياسات
الطول (٣٠٠) ذراع	الطول = مرة ونصف طول ملعب كرة قدم
العرض (٥٠) ذراعاً	الارتفاع = ارتفاع مبنىً من أربعة أدوار
الارتفاع (٣٠) ذراعاً	لقد كان طول الفلك = ستة أضعاف عرضه تماً
البناء الهندسي : لها اجنحة وتحت الاجنحة إيوان	وهذه هي النسبة التي يراعيها بناة السفن الأن . ويقدر كثير من العلماء عدد الحيوانات التي حملها بـ (٤٥) ألف حيوان

مادة البناء : شجر الساج .

إذ يلاحظ من هذه الموازنة التطابق الكبير بين الوصف الذي ذكرته كتب التفاسير والوصف الذي جاء في الكتاب المقدس / سفر التكوين / وشروحه وهذا التطابق يدل على أن الفلك الذي خص الله به نوحاً (عليه السلام) آلة وواسطة للنقل تختلف كثيراً عن السفينة حتى بأحجامها الكبيرة ولذلك نحن لا نتفق مع اللغويين والمفسرين في تفسير (الفلك بـ (السفينة) إذ إن الدارس يلاحظ من دون عناء ، أن لفظة الفلك اينما وردت في القرآن الكريم تفسّر على أنها (السفينة) وهذا ما لا يعضده الاستعمال القرآني . فقد فرّق القرآن الكريم بين دلالة الفلك والسفينة . إذ خصّ كل واحدة منهما بمواضع وسياقات معينة ، وهذا في ما نعرض له في الفصل التالي ، السفينة في الاستعمال القرآني .

المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم . ٢ــ الكتاب المقدس .

٣ــ أسرار التكرار في القرآن / الكرماني / تحقيق عبد القادر أحمد عطا / ط٢ / ١٩٧٦ م .

٤ــ اعراب القرآن / أبو جعفر النحاس / تحقيق د . زهير غازي زاهد / مطبعة العاني / بغداد .

٥ــ تفسير الجلالين / جلال الدين الحلبي وجلال الدين السيوطي / دار التراث / القاهرة .

٦ــ تهذيب اللغة/ الازهري/ تحقيق لجنة/ دار الكتاب العربي/ القاهرة/ ١٩٦٧م .

٧ــ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس / شركة ماستر ميديا / القاهرة .

٨ــ الجمان في تشبيهات القرآن / ابن ناقيا / تحقيق د . أحمد مطلوب و د . خديجة الحديثي / بغداد / ١٩٦٨م .

٩ــ شرح المفصل / ابن يعيش / طبع ونشر ادارة الطباعة المنيرية .

١٠ــ شرح الرضي على الشافية / تحقيق محمد نور الحسن / محمد الزفزاف / محمد محي الدين عبد الحميد / دار الكتب العلمية .

١١ــ صفوة التفاسير / شيخ محمد علي الصابوني / دار القرآن / بيروت .

١٢ــ الدر المنثور في التفسير الماثور/ السيوطي/ دار الفكر / بيروت .

١٣ــ العين / الخليل بن احمد الفراهيدي / تحقيق د . مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي / بغداد / ١٩٨٤م .

١٤ــ القاموس المحيط / الفيروز ابادي / تعليق ابو الوفا نصر الهوريني / ط١ / دار الكتب العلمية / ٢٠٠٤م

١٥ــ الكتاب / سيبويه / تحقيق عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي / القاهرة / ط٣ / ١٩٨٨م .

١٦ــ الكشاف / جار الله الزمخشري / تعليق خليل مامون شيحا / دار المعرفة / بيروت / ط١ / ٢٠٠٢م .
١٧ــ لغات العرب الواردة في القرآن / ابو عبيدة بن سلام / تحقيق د . عبد الحميد السيد طلب / الكويت / ١٩٨٤.
١٨ــ مجاز القرآن / ابو عبيدة معمر بن المثنى / تعليق د . محمد فؤاد سركين / مصر .
١٩ــ مختار الصالح/ عبد القادر الرازي/ دار الرسالة/ الكويت/١٩٨٣م.
٢٠ــ معاني البنية / د . فاضل السامرائي / الكويت / ط١ / ١٩٨١م .
٢١ــ معاني القرآن / الفراء ابو زكريا / تحقيق محمد علي النجار و احمد يوسف نجاتي / ط٢ / القاهرة م ١٩٧٨م .
٢٢ــ معاني القرآن واعرابه / ابو اسحاق الزجاج / تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي / عالم الكتب / بيروت / ط١/ ١٩٨٨م .
٢٣ــ معجم الكلمات الآكدية في اللغات الشرقية القديمة والاغريقية واللاتينية/ محمد داود سلوم / بيروت / ط١ / ٢٠٠٣م .
٢٤ــ مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني / تحقيق صفوان داودي / ط١ / بيروت / ١٩٩٧م .
٢٥ــ موسوعة الكتاب المقدس / دار منهل الحياة / ١٩٩٣م .